

## بسم الله الرحمن الرحيم

### الإنسانية في الإسلام:

إنّ الإنسانية إحدى خصائص الإسلام الكبرى ، إنها تشغل حيزاً كبيراً في منطلقاته النظرية ، وفي تطبيقاته العملية ، وقد ربطت بعقائده وشعائره ومنهجه وآدابه ربطاً محكماً ؛ فالإنسانية في الإسلام ليست مجرد أمنية شاعرية تهفو إليها بعض النفوس ، وليست فكرة مثالية تتخيّلها بعض الرؤوس ، وليست حبراً على ورق سطرته بعض الأقلام ، إنها ركنٌ عقدي ، وواقع تطبيقي ، وثمار يانعة .

### من ثمرات إنسانية الإسلام اليانعة :

#### أولاً: مبدأ الإخاء الإنساني :

من ثمرات إنسانية الإسلام اليانعة مبدأ الإخاء الإنساني ، إنه مبدأ قرّره الإسلام بناءً على أنّ البشر جميعاً أبناء رجلٍ واحد وامرأة واحدة ، ضمّتهم هذه البنوة الواحدة المشتركة ، والرحم الواصلة ، قال الله تعالى في القرآن الكريم :

( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ) .

( سورة النساء ) .

ولعل كلمة : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ ) ، وكلمة ( مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ) تلزمننا أن نفهم كلمة ( الْأَرْحَامَ ) في هذه الآية على أنها الرحم الإنسانية العامة التي تسع البشر جميعاً .

#### ١ . الأخوة في الإسلام بين عباد الله جميعاً:

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرّر هذا الإخاء ويؤكدّه كل يوم أبلغ تأكيد ؛ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ قَالَ سَمِعْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي ذُبْرِ صَلَاتِهِ : ((اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ وَحَدَّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ إِخْوَةٌ ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، اجْعَلْنِي مُخْلِصاً لَكَ وَأَهْلِي فِي كُلِّ سَاعَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، اسْمَعْ وَاسْتَجِبْ ، اللَّهُ أَكْبَرُ الْأَكْبَرُ ، اللَّهُمَّ نُورَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، اللَّهُ أَكْبَرُ الْأَكْبَرُ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ الْأَكْبَرُ)) .

[ أبو داود وأحمد عن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ ]

النبي صلى الله عليه وسلم يعلن من خلال هذا الدعاء المتكرر الأخوة بين عباد الله جميعاً ، لا بين العرب وحدهم ، ولا بين المسلمين وحدهم ، بل هي أخوة بين بني البشر جميعاً ، على اختلاف أجناسهم وأعراقهم وألوانهم وطبقاتهم ومللهم ونحلهم ، والبشر جميعاً عند الله جل جلاله نموذجان ؛ رجل عرف الله

وانضبط بمنهجه وأحسن إلى خلقه فَسَلِمَ وسعد في الدنيا والآخرة ، ورجل غفل عن الله وتفلت من منهجه وأساء إلى خلقه فشقي في الدنيا والآخرة .

### ٢ . الإخاء الإنساني في الإسلام هي حقيقة دينية تنطلق من كلمة التوحيد:

وهذا الإخاء الإنساني في الإسلام ليس للاستهلاك المحلي ، ولا للتضليل العالمي ، إنما هي حقيقة دينية لا ريب فيها ، تنطلق من كلمتي التوحيد والرسالة ؛ فشهادة أن لا إله إلا الله إسقاط لكل المتألهين في الأرض الذين طغوا وبغوا ، وشهادة الرسالة وصفت محمداً عليه الصلاة والسلام أنه عبده ورسوله، يتبع ما يوحى إليه

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

( وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بَقْرَانٌ غَيْرٌ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ فُلٌ مَّا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدَلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) )

(سورة يونس)

### ٣ . الأخوة الدينية تزيد من قوة الأخوة الإنسانية ولا تتناقض معها:

يزداد هذا الإخاء توثقاً وتأكداً إذا أضيف إليه عنصر الإيمان فتجتمع الأخوة الدينية إلى الأخوة الإنسانية فتزيدها قوة إلى قوة ، ولما كان باب الإيمان مفتوحاً لكل الناس بلا قيد ، ولا شرط ، ولا تحفظ على جنس أو لون أو إقليم أو طبقة ، فإن الإخاء الديني المتفرع عن الإيمان والعقيدة المشتركة لا يضعف الإخاء العام بل يشده ويقويه ، فلا تتناقض بين الإخاء البشري العام وبين الإخاء الديني الذي تشير إليه الآية الكريمة :

( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) ) .

(سورة الحجرات : الآية ١٠)

ويشير إليه الحديث

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ )) .

[البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما]

### ٤ . النبي ربط ربطاً محكماً بين الأخوة الإنسانية وبين الإيمان وجعلها من مقوماته :

النبي صلى الله عليه وسلم ربط ربطاً محكماً بين الأخوة الإنسانية وبين الإيمان ، وجعلها من

مقوماته،

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ )) .

[ رواه البخاري ومسلم عن أنس ]

وفي رواية : وحتى يكره له ما يكره لنفسه ، وقد ذكر بعض شُرَّاح الحديث أن كلمة أخيه في الحديث لم تُقيد بصفة تحدُّ إطلاقها ، والمُطلق في النصوص المحكمة على إطلاقه ، إذًا فالأخوة التي قصدها المصطفى صلى الله عليه وسلم هي الأخوة الإنسانية .

#### ٥ . التطبيق العملي للإخاء:

لقد طبَّق الإسلام هذا الإخاء الرفيع ، وأقام على أساسه مجتمعاً ربانياً إنسانياً فريداً اضمحلت فيه فوارق الجنس واللون والقبيلة والطبقة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((سلمان منا أهل البيت)) .

[حاكم في المستدرک والطبرانی فی المعجم الكبير عن كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده]

#### ثانياً: مبدأ المساواة الإنسانية :

من ثمرات إنسانية الإسلام اليانعة مبدأ المساواة الإنسانية ، فقد قرره الإسلام ونادى به ، وهو ينطلق من أن الإسلام يحترم الإنسان ويكرمه من حيث هو إنسان لا من أي حيثية أخرى ،

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ) .

(سورة الحجرات)

#### ١ . الإنسانية متساوية القيمة :

الإنسانية متساوية القيمة في أي إهاب تبرز ، على أية حالة تكون ، وفوق أي مستوى تتربع

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجْمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدٍ ، وَلَا لِأَسْوَدٍ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى ، أَبْلَغْتُ ؟ قَالُوا : بَلَّغْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ قَالُوا : يَوْمٌ حَرَامٌ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟ قَالُوا : شَهْرٌ حَرَامٌ : قَالَ : ثُمَّ قَالَ : أَيُّ بَلَدٍ هَذَا ؟ قَالُوا : بَلَدٌ حَرَامٌ ، قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ ، هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، أَبْلَغْتُ ؟ قَالُوا : بَلَّغْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لِنُبَلِّغَ الشَّاهِدَ الْعَايِبَ )) .

[رواه أحمد عن أبي نصر]

## ٢. النفس الإنسانية ما لم تكن مؤمنة بربها قد تبني مجدها على أنقاض الآخرين :

النفس الإنسانية ما لم تكن مؤمنة بربها مؤمنة بوعده ووعيده مؤمنة بأنه يعلم سرها وجهرها ، لأن النفس الإنسانية تدور حول أثرتها ، ولا تُبالي بشيء في سبيل غايتها ، فربما بنت مجدها على أنقاض الآخرين ، وبنت غناها على فقرهم ، وبنت عزها على ذلهم ، بل ربما بنت حياتها على موتهم ، لذلك قال الرسول الكريم في حجة الوداع :

((... يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَتَدْرُونَ فِي أَيِّ شَهْرٍ أَنْتُمْ؟ وَفِي أَيِّ يَوْمٍ أَنْتُمْ؟ وَفِي أَيِّ بَلَدٍ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: فِي يَوْمٍ حَرَامٍ، وَشَهْرٍ حَرَامٍ، وَبَلَدٍ حَرَامٍ، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَهُ، ثُمَّ قَالَ: اسْمَعُوا مِنِّي تَعِيشُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، إِنَّهُ لَا يَحِلُّ مَالٌ أَمْرِي إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ وَمَالٍ وَمَأْتَرَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي هَذِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ... )) .

[رواه أحمد عن أبي حُرَّةَ الرَّقَاشِيِّ عَنْ عَمِّهِ]

## ٣. المال قوام الحياة وينبغي أن يكون مُتداولاً بين كل الناس:

المال قوام الحياة ، وينبغي أن يكون مُتداولاً بين كل الناس ، وأنه إذا ولد المالُ المال من دون جهد حقيقي يسهم في إعمار الأرض ، وإغناء الحياة ، تجمّع في أيدي قليلة وحُرمت منه الكثرة الكثيرة ، عندها تضطرب الحياة ، ويظهر الحقد ، ويُلبأ إلى العنف ، ولا يلد العنف إلا العنف ، والربا يُسهم بشكل أو بآخر في هذه النتائج المأساوية التي تعود على المجتمع البشري بالويلات ، لهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع :

(( أَلَا وَإِنَّ كُلَّ رِبَا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَضَى أَنْ أَوَّلَ رِبَا يُوضَعُ رَبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ )) .

[رواه أحمد عن أبي حُرَّةَ الرَّقَاشِيِّ عَنْ عَمِّهِ]

## ٤. المرأة مساوية للرجل تماماً:

النساء شقائق الرجال ، ولأن المرأة مساوية للرجل تماماً من حيث أنها مكلفة كالرجل بالعقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ، ومساوية له من حيث استحقاقها الثواب والعقاب ، وأنها مساوية له تماماً في التشريف والتكريم ،

لهذا قال صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع :

(( أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُوطِئَنَّ فُرْشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ وَلَا يَأْدَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ )) .

[رواه الترمذي عن سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَخْوَصِ عَنْ أَبِيهِ]

## ٥. الاعتداء على أية نفس اعتداء على الإنسانية كلها:

النبي صلى الله عليه وسلم قام لحناسة رجل وصفه القرآن بأنه من أشد الناس عداوة للذين آمنوا ،

فلما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك قال : **أليس إنساناً**

لذلك عدّ الإسلام الاعتداء على أية نفس اعتداء على الإنسانية كلها ، كما عدّ إنفاذ أية نفس إحياء للناس جميعاً ، وهذا ما قرره القرآن الكريم بوضوح جلي ،

قال الله الحكيم الخبير في القرآن الكريم :

( **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا (٣٢) .**

(سورة المائدة)

## ٦. التأكيد العملي لمبدأ المساواة:

ولم يكتف الإسلام أن يقرر مبدأ المساواة نظرياً بل أكده عملياً بجملة أحكام وتعاليم ، نقلته من فكرة مجردة إلى واقع ملموس ؛ من ذلك العبادات الشعائرية التي فرضها الإسلام وجعلها الأركان العملية التي يقوم عليها بناؤه العظيم من الصلاة والزكاة والصيام والحج .

**في مساجد الإسلام** حيث تقام صلاة الجمعة والجماعة تأخذ المساواة صورتها العملية ، وتزول كل الفوارق التي تميّز بين الناس ، فمن دخل المسجد أولاً أخذ مكانه في مقدمة الصفوف ، وإن كان أقلّ الناس مالاً ، وأضعفهم جاهاً ، ومن تأخر حضوره تأخر مكانه مهما يكن مركزه ، فكل الناس سواسية أمام الله ؛ في قيامهم ، وعودهم ، وركوعهم ، وسجودهم ، ربهم واحد ، وكتابتهم واحد ، وقبلتهم واحدة ، وحركاتهم واحدة ، وإمامهم واحد .

**في مناسك الحج** تتحقق المساواة بشكل أشد ظهوراً ، وتتجسد تجسداً تراه العين ، فشعيرة الإحرام تفرض على الحجاج والمعتمرين أن يتجرّدوا من ملابسهم العادية ، ويلبسوا ثياباً بيضاء بسيطة ، غير مخيطة ، ولا محيطة ، أشبه ما تكون بأكفان الموتى ، يستوي فيها القادر والعاجز ، والغني والفقير ، والملك والمملوك ، ثم ينطلق الجميع ملبيين بهتاف واحد : **"لبيك اللهم لبيك"** ،

**المساواة أمام قانون الإسلام وأحكام الشرع** ومن المساواة العملية التي قررها الإسلام قولاً وطبقها فعلاً المساواة أمام قانون الإسلام وأحكام الشرع . فالحرام في شريعة الإسلام يتّسم بالشمول والاطّراد ، فليس هناك شيء حرام على الأعجمي حلال على العربي ، وليس هناك شيء محظور على الملون مباح للأبيض ، وليس هناك جواز أو ترخيص ممنوح لفئة من الناس تقترب باسمه ما طوع لها الهوى ، بل ليس للمسلم خصوصية تجعل الحرام على غيره حلالاً له ، كلا إن الله رب الجميع ، والشرع سيد الجميع ، فما أحل الله بشريعته فهو حلال للناس كافة ، وما حرّم فهو حرام على الجميع كافة إلى يوم القيامة .

السرقه مثلاً حرام ، سواء أكان السارق ينتمي إلى المسلمين أم لا ينتمي ، وسواء أكان المسروق ينتمي إلى المسلمين أم لا ينتمي ، والجزاء لازم للسارق أياً كان نسبه أو مركزه . وقد حاول بعض الصحابة أن يُشَفِّعوا أسامة بن زيد ، حبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه في امرأة من قريش ،

من بني مخزوم ، سرقت فاستحقت أن يُقام عليها حدُّ السرقة ، فكلمه أسامة فيها ، فغضب عليه الصلاة والسلام غضبته التاريخية المعروفة ، وقال قولته التي خَلدَها التاريخ ،

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(( إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَأَيُّمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا )) .

[متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها]

أحكام الدولة تطبق على الأقارب قبل غيرهم كان عمر رضي الله عنه وكان خليفة المسلمين إذا أراد إنفاذ أمر جمع أهله وخاصته ، وقال لهم :

" إني أمرت الناس بكذا ونهيتهم عن كذا ، والناس كالطير ، إن رأوكم وقعتم وقعوا ، وأيُّمُ الله لا أوتينُّ بواحد وقع في ما نهيت الناس عنه ، إلا ضاعفتُ له العقوبة لمكانه مني " .  
فصارت القرابة من عمر مصيبة .

القصاص من الجميع وفي خلافته رضي الله عنه وأرضاه ، جاءه إلى المدينة جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساسنة يعلن إسلامه ، فرحَّب به عمر أشد الترحيب ، وفي أثناء طواف هذا الملك حول الكعبة داس بدوي طرف إزار الملك الغساني ، فيغضب الملك ويلتفت إلى هذا البدوي فيضربه ويهشم أنفه ، فما كان من هذا البدوي من فزارة إلا أن توجه إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب شاكياً ، فيستدعي عمر رضي الله عنه الملك الغساني إلى مجلسه ويجري بينهما حوار صيغ على الشكل التالي :

قال عمر : جاءني هذا الصباح مشهد يبعث في النفس المرارة ، بدويٌّ من فزارة ، بدماء تتظلمُّ بجراح تتكلم ، مقلة غارت وأنف قد تهشم ، وسألناه فألقى الوزر عليك ، بيديك ، أصحيح ما ادَّعى هذا الفزاري الجريح ؟

قال جبلة : لست ممن ينكر أو يكتم شيئاً أنا أدبْتُ الفتى ، أدركتُ حقي بيدي ،

قال عمر : أيُّ حقِّ يا ابن أيهم ، عند غيري يقهر المستضعف العافي ويظلم ، عند غيري جبهة بالإثم والباطل تُلطم ، نزوات الجاهلية ورياح العنجهية قد دفناها وأقمنا فوقها صرحاً جديداً ، تساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً ، أرض الفتى ، لا بد من إرضائه مازال ظفرك عالقاً بدمائه ، أو يهشمن الآن أنفك وتنال ما فعلته كفك ،

قال جبلة : كيف ذاك يا أمير المؤمنين ، هو سوقة وأنا صاحب تاج ، كيف ترضى أن يخر النجم أرضاً ، كان وهماً ما مشى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز ، أنا مرتد إذا أكرهنتني .

قال عمر : عالم نبييه ، كل صدع فيه يشبا السيف يداوى ، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى .

أما جبلة فلم يستوعب هذا المعنى الكبير في الإسلام ، وفرَّ من المدينة هارباً مرتداً ، ولم يبالي عمر ولا الصحابة معه بهذه النتيجة ، لأن ارتداد رجل عن الإسلام أهونُ بكثير من التهاون في تطبيق مبدأ عظيم من مبادئه ، وخسارة فرد لا تقاس بخسارة مبدأ .

**ثالثاً: الدعوة إلى السلام بأوسع معاني هذه الكلمة :**

أيها السادة المستمعون أيتها السيدات المستمعات ، ومن ثمرات إنسانية الإسلام اليانعة دعوته إلى السلام بأوسع معاني هذه الكلمة ؛ بمعانيها الفردية والجماعية ، والمادية والروحية ، والدنيوية والأخروية

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

( يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦) ) .

( سورة المائدة )

**١. الإنسان مفطور على حب سلامته وسعادته:**

إنَّ الإنسان - أيَّ إنسان - في أي زمان ومكان ، مفطور على حبَّ وجوده ، وعلى حبَّ سلامة وجوده ، وعلى حبَّ استمرار وجوده ، وعلى حب كمال وجوده ؛ وبكلمة موجزة : مفطور على حب سلامته وسعادته ، وهذان المطلبان الثابتان لدى أي إنسان لا يتحققان إلا حينما يطبق منهج الذي خلقه ، فهو خبير بأسباب سلامته وسعادته ،

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ (٢١) ) .

( سورة البقرة )

وقال عز وجل :

( وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ) .

( سورة فاطر ) .

**٢. أين نجد منهج الذي خلقنا ؟ وهو الخبير بأسباب سلامتنا وسعادتنا**

إننا نجد في كتابه العزيز وسنة نبيه الكريم ، في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي يهدي للتي هي أقوم ، وهو هدىً وبيان ، وموعظة وبرهان ، ونور وشفاء ، وذكر وبلاغ ، ووعد ووعد ، وبشرى ونذير ، يهدي إلى الحق وإلى الرشد ، وإلى صراط مستقيم ، يُخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ، ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، فيه تبيان لكل شيء وهو شفاء لما في الصدور ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ؛ من ابتغى الهدى في غيره أضله الله فهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، لا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الردِّ ، ولا تنقضي عجائبه ، مَنْ قال به صدق ، وَمَنْ حكم به عدل ، وَمَنْ عمل به أُجر ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم ،

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

( يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ) .

( سورة المائدة : الآية ١٦ )

### ٣. سبل السلام على المستوى الفردي والجماعي :

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

( وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦) ) .

(سورة الأحزاب)

عندئذ يهديه الله سبل السلام ؛ بأوسع معاني هذه الكلمة ، يهديه سبل السلام مع نفسه ، فلا كآبة ، ولا انقباض ، ولا شعور بالذنب ، ولا حسرة ، ولا ندم ، ولا سقوط ، ويهديه سبل السلام مع أهله ، فلا شقاء ولا شقاق ، ولا عقوق ولا عصيان ، ولا تفكك ولا انهيار ، ولا مذمة ولا عدوان ، ويهديه سبل السلام مع مجتمعه ، فلا عداوة ولا بغضاء ، ولا إثم ولا عدوان ، ولا إحباط ولا إخفاق ، ولا مكر ولا كيد ، ويهديه سبل السلام مع ربه ، فلا حجاب ولا نكوص ، ولا جفوة ولا فتور ، ولا غضب ولا سخط، هذا على المستوى الفردي فماذا على المستوى الجماعي ؟

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

( وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) ) .

(سورة الأنفال)

قال علماء التفسير : ما دامت سنة النبي صلى الله عليه وسلم مطبقة في مجتمع ما؛ مطبقة في بيوتهم ، وفي أعمالهم ، وفي تجارتهم ، وفي أفراسهم ، وفي أتراسهم ، وفي حلهم ، وفي ترحالهم ، وفي علاقاتهم ، فهم في مأمن من عذاب الله بكل أنواعه ومستوياته ،

قال أحكم الحاكمين في القرآن الكريم:

( مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (١٤٧) )

(سورة النساء)

وقال عز من قائل في قرآنه الكريم :

( وَأَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذْقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) ) .

(سورة الجن)

وقال أيضاً :

( وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ )

(سورة المائدة : الآية ٦٦)

### ٤. سبل السلام على المستوى الدولي :

ماذا عن المستوى الدولي ؟ الأمة التي تطبق منهج الله يهديها الله سبل السلام ، فيجعلها الله مستخلفة

، ممكنة ، آمنة ، مطمئنة ،

قال الله تعالى مذكراً بهذه الحقيقة في القرآن الكريم:

( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) .

(سورة النور)

الأمة التي لا تطبق منهج الله في حياتها تنطبق عليها هذه الآية الكريمة انطباقاً كاملاً،

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

( فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا (٥٩) )

(سورة مريم)

النهاية إلى ملك قادر عادل ونحن محاسبون

أيها الأخوة

خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ :

(( أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ ، يَأْكُلُ مِنْهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ أَجَلٌ صَادِقٌ ، يَفْضِي فِيهَا مَلِكٌ قَادِرٌ ، أَلَا وَإِنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ بِحَدَافِيرِهِ فِي الْجَنَّةِ ، أَلَا وَإِنَّ الشَّرَّ كُلَّهُ بِحَدَافِيرِهِ فِي النَّارِ ، أَلَا فَاعْلَمُوا ، وَأَنْتُمْ مِنَ اللَّهِ عَلَى حَذَرٍ ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُعْرَضُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ ، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ )) .

[ رواه بهذا اللفظ الشافعي في الأم ، والبيهقي في السنن الكبرى عن شداد بن أوس ]

**منقول عن:** الخطبة الإذاعية (٤٩) : خ ١ - النزعة الإنسانية في الإسلام ، خ ٢ - ظاهرة الزلازل .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٩-١٠-١٥ | [المصدر](#)